مكتبة علوم الحديث
مدينة منورة
رقم الجرد ٢٢٣٢
رقم الجرد
تاريخ الجرد ٢٢٨٨

المقدمة

يمثل أبوحيان التوحيدى صرحا شامخا في تاريخ الأدب والفكر العربيين، ولهذا قامت العديد من الدراسات التي تحاول أن تقترب من عالم هذا الرجل[1]. وكلهادراسات طيبة ، رغم مافيها من بعض القصور . إلا أن هذه الدراسات توقفت في أكثرها على حياة الرجل وأدبه ، ولم تحاول أن تجلي لنا إنتاجه الذاخر والمتنوع ، والذى يعد صورة مضيئة لثقافة القرن الرابع الهجرى ، بل الثمرة الجيدة للحضارة الإسلامية ، والتي يعجب الإنسان بما فيها من آراء ونظريات ربما تكون جديدة كل الجدة حتى لوقسناها بمقاييس عصرنا الحديث .

وقد نبه الأستاذ أحمد أمين إلى أن كتب التوحيدى مليئة بكنوز المعرفة، ولكنها في حاجة إلى من يسبر غورها ويعدها بطريقة يمكن الاستفادة منها. يقول " وحبذا لورزق الله العالم الإسلامي بباحثين مقتدرين استطاعوا أن يغربلوا كتب أبي حيان من " إمتاع ومؤانسة" و" هوامل وشوامل" و"بصائر وذخائر" و"مقابسات" و"كتب أخرى ورسائل، ثم يعرضوها على الناس بلفظ جديد وأسلوب جديد، إذاً لرأوا آراء ونظريات يعجب القارئ كيف أتى بهذا كله منذ ألف عام تقريبا ، واذا - أيضا - لصورت الثقافة العربية بصورة جميلة وزاهية ، تقلل من شأن ما أتى بعد من حضارات "[2].

فدراسة كتب أبي حيان دراسة حضارية . لم يقم بها باحث حتىالآن ، وأقصد بالدراسة الحضارية نسبة كتب أبي حيان التوحيدى إلى الحضارة الإسلامية وليس إلى أبي حيان فقط ، على أن أبا حيان ابن لهذه الحضارة تأثر بها وشارك في صنعها فجاءت كتبه صورة لها ومعبرة عنها. هذا بالإضافة إلى أن ماكتب عن حياته يشوبه الخلل والنقصان ، لأنها بحثت عن التوحيدى في كتب غيره لافي كتبه . فكتب التوحيدى لم تدرس بعد الدراسة التي تستنطقها . ولهذا يقول الدكتور عبدالأمير الأعسم:" وليس من الصحيح الادعاء هنا أن المكتبة العربية قد احتوت كل مايجب أن يقال في التوحيدى، فمع أن ماصدر عنه يقدمه أديبا من مفكرى القرن الرابع الهجرى، إلا أن مجمل الاهتمامات في أبي حيان لازالت بحاجة إلى المزيد من التفصيل : الموضوعات التي طرحها التوحيدى في كتبه ، الإشارات التي تمتلئ بها كتبه إلى الكثير من معاصريه ، والملاحظات العديدة التي سجل التوحيدى من خلالها شؤونا مختلفة تتصل بالسابقين عليه من الإسلاميين ، بالإضافة إلى

---

(١) كل هذه الدراسات اعتمد عليها الباحث ووردت في ثبت المصادروالمراجع.

(٢) أبوحيان التوحيدى : البصائر والذخائر ، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، المقدمة ، ص ط. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، الطبعة الاولى ،١٣٧٣هـ ١٩٥٣م

الاتجاهات التي تحدث عنها في مسيرات الفكروالأدب الإسلاميين من جهة ، أوتلك التي تتصل بالتاريخ العربي وتفسيره كتابة وتدوينا من منظورعقلاني لايخلو من التفرد من جهة أخرى.(١)

من أجل ذلك تصديت لدراسة كتب أبي حيان التوحيدى من جديد ، حفزني إلى ذلك عدة أسباب منها: أهمية هذه الدراسة بالنسبة لتجلية تراثنا الحضارى، ومحاولة الاستفادة منه ، ومنها توضيح صورة الأدب في القرن الرابع الهجرى حيث كان الأدب يشمل كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة . ومنها شغفي بدراسة الأدب من خلال رؤية حضارية والذى بدأته بدراستي للماجستير ، حيث درست " مظاهر الحضارة الإسلامية في شعر ابن المعتز العباسي". ومنها قرب أبي حيان التوحيدى إلى نفسي وتعاطفي الشديد معه كل هذا دفعني إلى اقتحام المكتبة التوحيدية مؤيدا بنصح وإرشاد أستاذى الدكتور محمد زغلول سلام فكان موضوع هذه الدراسة " تيارات الفكر والأدب والفن في مؤلفات أبي حيان التوحيدى.

وأقصد بالتيار : " الاتجاه العام الذى يجذب الأنظار إلى فكرة معينة أوتذوق خاص، وذلك كتيار التجديد الذى ساد بين أدباء مصر في مستهل القرن العشرين".(٢) .

وأقصد بالفكر النتاج العقلي الخالي من العاطفة .

وأقصد بالأدب " مجموع الآثار الشعرية والنثرية التي تتميز بسمو الأسلوب وخلود الفكرة .."(٣)

وأقصد بالفن " جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وخاصة عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقا".(٤)

* * *

ولكن ، لماذا دراسة الفكر والفن من باحث متخصص في الدراسات الأدبية؟ أقول : إن الإجابة على هذا السؤال تشمل أمرين : الأمر الأول هو حالة أديب القرن الرابع الهجرى

---

(١) د.عبدالأمير الأعسم: أبوحيان وكتابه المقابسات، ص٤٩، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) د. مجدى وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٣٨ ، مكتبة لبنان - بيروت - الطبعة الثانية ، ١٩٨٤.

(٣) نفسه ،ص١٦.

(٤) المعجم الوسيط : مادة (فنن).

والذى كان مزودا بكل المعارف الإنسانية ، بحيث يعتبر أدبه منقوصا إذا كان هناك نقص ، في أى جانب من جوانب ثقافته . فأديب القرن الرابع كان أديبا موسوعيا يتعلم كل شيء ويكتب في كل شيء ، يميزه عن غيره السمات الجمالية للأسلوب في تناول الموضوعات.

الأمرالثاني : مانهب إليه الدكتور تمام حسان " في ضرورة التزام طلاب اللغة العربية وأدبها بدراسة مقررات من التاريخ الإسلامي والفلسفة الإسلامية والتفسير والحديث والأدب والشريعة . وغيرها . فطالب اللغة العربية حين ينظر في نص أدبي معين ينبغي أن يكون له من المعلومات الشاملة في هذه الفروع جميعا مايعينه على فهم(المقام) الذى قيل فيه هذا النص .. فإذا شرح له رسالة إخوانية يقول مرسلها لمن يرسلها إليه : " أنت جوهر الفضل وهيولاه " فلن يعرف كيف يشرح هذه العبارة إلا اذا ألم إلمامايسيرا بالمقولات وبالفلسفة"(١)

وإذا قال السيد الحميرى :

ألا حيّ المقيم بشعب رضوى	وأهد له بمنزله السلاما
ألا قل للومي فدتك نفسي	أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشروالوك منا	وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا	مقامك عنهم سبعين عاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى	يراجعه الملائكة الكلاما
وماذاق ابن"خولة"طعم موت	ولاوارت له أرض عظاما
وإن له لمقيلَ صدق	وأندية تحدثه كراما
وإن له لرزقا من إمام	وأشربةً يعل بها الطعاما

فكيف نفهم هذا الكلام إذا لم نعرف أن الكربية - وهي فرقة شيعية مغالية - تذهب إلى :" أن محمد بن الحنفية حيّ ولم يمت ، وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وأخرى من العسل يعيش عليها ، وأن على يمينه أسد وعن يساره نمر، والأسد والنمر يحفظانه من أعدائه حتى يخرج إلىالناس باسم المهدى المنتظر"(٢)

---

(١) د. تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٤٧،٣٤٨، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٩م.

(٢) د. مصطفى الشكعة :إسلام بلا مذاهب ،ص١٥٩،١٦٠، الدارالمصرية اللبنانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

الباب الرابع : وعنوانه (**التيار الفني وصورالفنون في كتاباته**) وجاء في ثلاثة فصول:

الفصل الأول :يتناول فلسفة الفن عند أبي حيان.

الفصل الثاني: يتناول الموسيقا والغنـــاء.

الفصل الثالث :يتناول فن تجويد الخط العربي .

وفي نهاية البحث كانت الخاتمة وثبت المصادر والمراجع والفهرست .

وبعد فهذا قصارى جهدى وأسأل الله السداد والتوفيق .